ثقافة الأزمات والكوارث الوقاية والعلاج

د.زبيدي عائشة.
أستاذة محاضرة
قسم علم الاجتماع والديموغرافيا
جامعة الجزائر2

ملخص الدراسة:

في ظل التطورات والمتغيرات المتلاحقة التي نشهدها على الصعيدين العربي والعالمي، من كوارث طبيعية، إلى أزمات الطاقة والمياه والغذاء والمناخ والبيئة والصحة والأمن، وانتهاء بالأزمات الاقتصادية. ومع ما تشكله هذه الكوارث والأزمات من عقبة رئيسة أمام التنمية المستدامة وتحقيق الأهداف الإنمائية، تطلب ضرورة التوعية والتكوين لأفراد المجتمع من اجل خلق ثقافة تعامل لإكساب الأفراد سلوك ايجابي وفاعل ومساهم في الوقاية منها بالإضافة إلى الحاجة للتعاون والتنسيق بين الهيئات والمؤسسات على اختلاف تخصصاتها، وهو ما يتطلب مهارات خاصة لدى قيادات هذه المؤسسات تؤهلهم للعمل الجماعي- أو القيادة الجماعية- في مقابل القيادة الفردية. ونظرًا لأهمية التخطيط الوقائي وآلياته في هذا المجال، تظهر الحاجة كذلك إلى الارتقاء بمهارات وقدرات القيادة لاستباق الكوارث والأزمات، والإعداد للتقليل من تأثيراتها وتداعياتها، بل والعمل على منع حدوثها من خلال التكوين والتعلم والوعي والوقاية .وتفعيل نظرية النظم، من اجل وضع متغيرات الأزمة آو الكارثة في المسار العلاجي الصحيح.

مقدمة:

شهد العصر الحديث علم مستقل يختص بدراسة وتحليل الأزمات والكوارث وإدارتها ومواجهتها سمي علم إدارة الأزمات والكوارث وهو علم مؤسس كغيره من العلوم علي مجموعة من الأسس والمبادئ العلمية والمفاهيم الخاصة به، وهذا ما يجعله علماً مختلفاً في أساليبه وتطبيقاته، عن العلوم الإدارية الأخرى والتي قد تختلط فيه. فإدارة الأزمات والكوارث تهدف من خلال مفهومها الى التحكم في أحداث مفاجئة ومتفاقمة والتعامل معها وتصنيفها ومواجهة آثارها ونتائجها، وهي إدارة يجب ان تقوم على الدراسة والبحث، والمعرفة والتجارب المستفادة والتخطيط واستخدام المعلومات والبيانات كأساس للقرار السليم، والتعامل الفوري مع الأحداث لوقف تصاعدها، والسيطرة عليها وتحجيمها وحرمانها من مقومات تعاظمها ومن أي روافد جديدة قد تكتسبها أثناء وقوعها.

وتهدف أيضا إلى بناء القدرات البشرية، تسعى للترويج ونشر ثقافة الأزمات، و التعرف على طبيعة الأزمات الراهنة وكيفية مواجهتها، وخلق مناخ أمني يسوده الاطمئنان لتأمين المشروعات الحيوية والأمن الوطني من التهديدات غير المتوقعة، و ابتكار استراتيجيات جديدة لمواجهة الأزمات، ووضع نموذج للإدارة المتكاملة ، واستمرارية تحسين أنشطة مؤسسات التنمية الإدارية في القطاع العام والخاص في تطوير أداء القيادات العليا، ودعم وتعميم التجارب الإبداعية الناجحة والممارسات الرائدة في كيفية إدارة الأزمات، ومن خلال هذه الدراسة سنرى ماهية قيمة انتشار هذا العلم في المحيط الثقافي الاجتماعي ككل؟ وكيفية إكساب أفراد المجتمع توعية وتكوين للإلمام بسلوك ايجابي متفاعل ؟مع العلم أن الكوارث والأزمات المتعددة والمتوالية على الصعيد الوطني والدولي تشهد دائما مفاجئات مصاحبة للكارثة والأزمة تعيق العمل لاحتواء ها بالوقت المناسب، والأمثلة كثيرة.

مفهوم الكارثة:

هي الحدث الذي تترتب عليه آثار مدمرة وتنتج عنه وفيات وإصابات ولا يمكن وقف آثاره تماماً، بل وقد تمتد آثاره للمستقبل، والكوارث بعضها طبيعية مثل الزلازل والسيول والأعاصير والفيضانات وبعضها نتيجة فعل الإنسان وتدخله غير الرشيد في التوازن الطبيعي، والغرض من التعبئة العامة للتعامل مع الكوارث هو توظيف كل الإمكانيات لمواجهة الكارثة والحد من آثارها المدمرة، ويعنى وقوع الكارثة وضع النظام أمام أزمة تحتاج إلى آلية خاصة للتعامل معها والسيطرة عليها ومعالجة ما ينتج عنها

ولا توجد مشكلة في تحديد عناصر ذلك النسق، فهو يتألف بصورة عامة مما يلي:

1-مصادر حصر الكوارث المتوقعة، وهى الكوارث التي وقعت لأنظمة مماثلة محلياً ودولياً، والخبرات الشخصية المكتسبة والتوقعات العلمية المبنية على فهم الإشارات التحذيرية والتحليلات العلمية.

2-ترتيب الأزمات المتوقعة، ويتم ترتيب الأزمات المتوقعة بعد حصرها حسب قيمتها الاحتمالية وحجم الخسائر والأضرار البشرية والعادية الناتجة عنها، وعمل سجل للأزمات.

3-مراحل السيطرة والتعامل مع الأزمات المتوقعة، وهى مراحل الاستكشاف، ومراحل إعداد البرامج للتعامل مع الأزمة ومرحلة الاحتواء ومنع الانتشار ومرحلة إعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه و مرحلة تقييم الإنجازات.(1)ابراهيم عبدالله الشهاوي، الأزمات والكوارث، دار المعرفة، القاهرة،2012،ص:9.

أنواع الكوارث

الكوارث الطبيعية:

الدمار الذي يحدث للممتلكات والأرواح نتيجة لظواهر طبيعية، حيث تنقسم الكوارث الطبيعية إلى عدة أقسام منها ما هو ناتج عن ظواهر طبيعية مثل الأوبئة والزلازل والبراكين والفيضانات وحرائق الغابات، ومنها ما هو ناتج عن ظواهر جوية مرتبطة بالطقس والمناخ والحالات الجوية الأخرى فالطقس والمناخ يؤثران على جميع الأنشطة الإنسانية ويفرضان على الإنسان أساليب معينة للتعامل معهما. وهي تمثل-الزلازل-والحرائق-والأعاصير-والفيضانات-والانزلاقات-----الخ.

كوارث من صنع البشر:

منها كوارث إرادية مخطط لها، مثل الحروب، واستخدام الأسلحة والإرهاب، والحرائق، ورمي النفايات السامة. وكوارث لاإرادية جراء الإهمال البشري، مثل الانهيارات العمرانية، وحوادث السير، والحرائق.

بالإضافة إلى كوارث مشتركة بين الطبيعة والبشر. طبيعية بفعل الزلازل أو الفيضانات والبراكين وتزداد نتائجها بفعل البشر وتقصيرهم وسوء التصرفات، وكوارث تبدآ بفعل البشر ثم تلعب الطبيعة دورها في كبر حجمها.(2)ابراهيم عبدالله الشهاوي، نفس المرجع،ص:22.

مراحل الكارثة: تمر الكارثة بعدة مراحل:

1- **ما قبل الكارثة:** قد تكون سريعة او بطيئة ويصاحبها تحذير وتنبيه كاف وتحضير لها .

2-مرحلة البطولة: حيث يكون العديد من الناس أقوياء ومركزين ويستخدمون قواهم لإنقاذ أنفسهم وآخرين وهناك شعور قوي بالمشاركة والتعاون بين الناس ويصبح الناس كأنهم عائلة واحدة وينشغل الناس بالعمل على المساعدة أكثر من انشغالهم بالأسباب.

3–مرحلة التضامن الاجتماعي: يحدث من خلال الكارثة أن المجتمع يعيش حالة التحام وتضامن ويقوم الجميع بتامين الغذاء والماء ويلتقي الناس بعضهم البعض مشكلين موقف دعم اجتماعي، ويحاولون التكيف والعودة إلى الحياة الطبيعية.

4–مرحلة الإحباط والقلق: ويأتي ردا على التوقعات العالية من الناس تجاه الحكومة أو المسئولون عن الحلول ويحدث إحباط وقلق أو توتر خلال إطالة فترة الانتظار الذي يؤدي أحيانا إلى إهمال الحالة ،وهنا تحدث الكارثة الثانية

5–مرحلة إعادة البناء: تستمر مدة البناء مدة أطول مما هو متوقع في أذهان المتعرضين للازمات خاصة في حالة وقوع الزلازل والانهيارات سواء في البلدان المتقدمة أو البلدان النامية والفقيرة .مما يفاقم الحالة الإنسانية للأفراد والعائلات، وخاصة ما يحدث من مشكلات تسببها ما يسمى بالمساعدات الإنسانية من توزيع غير عادل للحاجيات الضرورية والصراع وحصول عدم الفعالية واستغلال وسوء المعاملة بالإضافة إلى حصول اغتراب وتضرر للثقافة ومنها العادات والتقاليد.(3)احمد هادي، اجراءات الاستعداد والوقاية من مخاطر الكوارث الطبيعية، المطبعة الجامعية،جدة،2012.ص:25.

مفهوم الأزمة:

يعرف معجم مصطلحات الخدمة الاجتماعية والعلوم الاجتماعية الأزمة بأنها: مرحلة من الألم العاطفي نتيجة لمشكلة حياتية محسوسة أو عائق أمام هدف هام يؤدي الى نزاع داخلي تكون فيه قدرات الفرد على التكيف غير ملائمة.

والأزمة عبارة عن حالة من الضيق أو التوتر المستمر الناتج عن حدث خطير بالنسبة للفرد، ويحاول فيها الفرد استخدام أساليبه الطبيعية لاستعادة التوازن ومواجهة الموقف وحينما تزداد حدة المشكلة وتتعمق الأزمة يصل الفرد إلى خالة من الانهيار النفسي.

ويعرف قاموس الخدمة الاجتماعية الأزمة بأنها: مجموعة من المفاهيم المرتبطة ببعضها البعض تتعلق بردود أفعال الناس عندما يواجهون معاناة جديدة وغير مألوفة ،وهذه المعاناة ممكن أن يكون سببها كارثة طبيعية او فقدان او تغير في الحالة الاجتماعية او تغير دورة الحياة.

ويستخدم مفهوم آو مصطلح الأزمة بطريقتين:

1–الأزمات من منطلق الخبرة الذاتية للتغير الذي يطرا على السلوك والانفعالات مما يعطل الوصول الى هدف معين.

2– الأزمات من منطلق العملية الاجتماعية كنتيجة لكارثة تدمر الوظائف الهامة للمؤسسات، مع التمييز بين ثلاث عناصر للازمة:

- العنصر الأول: موقف الأزمة ،ويقصد به العوامل والحوادث والظروف التي أدت إلى وقوع الأزمة.
- العنصر الثاني: الاستجابة للازمة ،ويقصد به تقدير النسق للازمة واستجابته السلوكية نحوها

–العنصر الثالث: حالة الأزمة، وتعني علاقة النسق الفردي بالبيئة المحيطة به وتعامله معها ،وللتغلب

على الأزمة لابد من إحداث تغيير في كل من الموقف والاستجابة.(4)احمد هادي، نفس المرجع،ص:19.

نظرية الأزمة: وضع لندمان نظرية الأزمة عام –1943 عقب حريق في احد الأندية الليلية أدى إلى هلاك المئات، وحدد من خلالها إطار متكامل يشمل:–مدى السيطرة على الحزن–والقدرة على التحرر من الحالة الراهنة–والعمل على إيجاد ميكانزم الدفاع المتواجد داخل كل فرد–مواجهة المشاعر الدفينة–والتخطيط لإعادة التوازن ومعايشة الوضع الجديد.(5)علي الدين السيد مُحَّد–خدمة الفرد بين النظريات المعاصرة–مكتبة عين شمس–القاهرة1995–ط3–ص339.

تعتبر نظرية الأزمة من أهم المداخل العلاجية لمساعدة الأفراد والجماعات على مواجهة مشكلاتهم الطارئة ،وتتميز بأنها تثري الممارسين بالأهداف والإجراءات الخاصة بكيفية تناول مثل هذه المواقف المتأزمة سواء كان ذلك في الدراسة أو في التشخيص السريع أو العلاج.

وتعد نظرية الأزمة من العلاجات القصيرة المستخدمة في خدمة الفرد، فهي خليط غير متجانس من النظريات المختلفة فهي تأخذ من النظرية البنائية الوظيفية مفهوم التوازن ومن المدرسة التحليلية مفهوم الذات ومن الوظيفية مفهوم الإرادة وأيضا تأخذ من النظرية السلوكية ومن الدور مفاهيمها، وبالتالي نرى إن نظرية الأزمة اتجاه ليس له بناء نظري مستقل.

وبدأت فكرة التدخل في الأزمات تحتل مكانة بارزة في ممارسة الخدمة الاجتماعية منذ فترة الكساد الاقتصادي العالمي الذي ساد أوروبا في الثلاثينات من القرن العشرين حيث تعرض كثير من الناس إلى أزمات اقتصادية وصحية واجتماعية نتيجة للأوضاع السائدة في ذلك الحين ،بالإضافة إلى أزمات ضحايا الحرب.

وبدا يشيع استخدام النظرية في خدمة الفرد أعقاب حرب الاستقلال نتيجة الأزمات المعنوية والصدمات النفسية التي تعرض لها الجنود في الحرب ثم أصبحت تمارس على نطاق واسع في حالات الأزمات المختلفة حينما يواجه الفرد موقف يتحدى إرادته ويهدد كيانه ولا يستطيع مواجهته بإمكانياته المتاحة.

أما في نطاق علم الاجتماع: فقد اهتم علماء الاجتماع بدراسة الأزمة التي يتعرض لها البناء الاجتماعي وتأثيرها في العلاقات الاجتماعية السائدة وانعكاسها على الجماعات المختلفة .وتركز ابرز مساهماته في تحديد ردود الفعل الاجتماعية والسلوك الاجتماعي ودراستها أثناء مواجهة الأزمات ،وتمثل كل ذلك في ظهور علم سوسيولوجيا الأزمات.

وفي مجال علم النفس :فقد حرص على دراسة الآثار النفسية للازمة والتي تأخذ أشكالا متنوعة :كالارتباك والصدمة والقلق والتوتر وغالبا ما تسبب الأزمة ارتباكا كبيرا للناس في حياتهم وأساليب تكيفهم مع الضغوط المختلفة، وعادة ما تثير مشاعر الخوف والألم والملامح الأساسية لنظرية الأزمة في علم النفس كالآتي:
حدث ضاغط أو أحداث تتطلب تغييرا. حيث تؤدي طبيعة الأزمة إلى إرهاق لموارد الفرد المتاحة بكل أنواعها النفسية والجسدية والمادية وموارد أسرته وآخرين الذين يشكلون علاقات الدعم الاجتماعي.(6)حكمت طرابلسي، ابحاث في علم النفس السلوكي، مطبعة النور،بيروت،2010.ص12.

والأزمات: ثقافة الكوارث

إن الأجهزة البيروقراطية التي تتسم بالملامح التقليدية، هي التي تثير مشاكل معوقات العمل في المجال المدني بالإضافة إلى تعدد التبعية والتخصص الفني، كما يؤدى التباعد الزمني بين وقوع الكوارث، إلى استرخاء تلك الأجهزة، على نحو يجعل حركتها ثقيلة للغاية، تضاف لذلك نقطتان تتصلان بثقافة مواجهة الكوارث المهيمنة داخلها هما:

1- أن فكرة التنبؤ بالأزمات عبر إنذار مبكر يتيح الاستعداد لها من خلال تحديد سيناريوهات معينة واعتماد مالي وأيضا جهات جاهزة للتحرك لا وجود لها، فعلى الرغم من وجود خرائط تفصيلية أحيانا لطبيعة المخاطر التي تواجه المناطق المختلفة في الدول، كغرق السفن في المناطق الساحلية، أو انهيار الجسور في المناطق الزراعية، أو السيول في المناطق الصحراوية، أو مشكلات المباني والمرافق والخدمات في المدن، فإن الكوارث تبدو دائما وكأنها تفاجئ الجميع...

2- انتشار ظاهرة حجب المعلومات، في ظل سيطرة النمط البيروقراطي والبعد عن العمل الجماعي، الأمر الذي قد يوجد صورا خاطئة في ذهن أفراد المؤسسات أو معتقدات غير صحيحة بشأن مناعة المؤسسة ضد الأزمات أو القدرة على اكتشاف الإنذار، وتعوق هذه المعتقدات قدرة الأفراد على التفسير الصحيح لعلامات الإنذار المبكر وتشخيص وجود الأزمة بالإضافة لدك ، افتقار المديرين أو المؤسسات إلى المقدرة أو الميل إلى الاستجابة بطريقة مناسبة للخطر، وعدم قيام المؤسسات بإعادة تقييم موقفها من اكتشاف علامات

الإنذار المبكر من خلال التعرف على قدراتها القائمة.

أن مشكلات واسعة النطاق تظهر عند التعامل مع الكوارث التي تقع بالفعل، والتي يكون الهدف الواضح بشأنها هو تقليص الخسائر، وأعمال الإنقاذ، واحتواء الموقف، واستعادة الأوضاع الطبيعية، كعدم التنسيق بين الجهات التي يفترض أن تواجهها، في ظل التعددية الواسعة لها، والتنافس الشديد والحساسيات وإزاحة المسئوليات فيما بينها أحيانا، مع قصور في الكفاءة الإغاثة والفعالية في العمل أحيانا، لدرجة أصبحت معها بعض منظمات المجتمع المدني تتحرك أحيانا بأسرع من الجهات المختصة.(7)علي البنا، نفس المصدر،ص23..

هناك أيضا معوقات للعمل تواجه إدارات الدفاع المدني في الدول العربية، وتتعلق ببنية الدولة ذاتها، وهى أمور يمكن اكتشافها ببساطة لدى وقوع أي حادث كبير، خاصة داخل المدن، على غرار ما يلي

1- سوء حالة الطرق في بعض البلدان العربية مما يعوق حركة المرور خاصة في حالات الإطفاء والطوارئ الأمر الذي يؤدى لتفاقم حجم الحريق أو الكارثة .

2- عدم تناسب ضغط المياه في حالات الحريق الكبرى وانقطاع المياه بمناطق الحريق في بعض الحالات مما يزيد من عبء ومضاعفة جهد رجال الإطفاء، وكذلك يؤدى ضعف وانعدام توعية المواطنين، وكذلك سوء تصرفهم في الكوارث وغيرها إلى خسائر كبيرة..

3- إقامة العشوائيات في الأماكن المعرضة للأخطار دون الرجوع إلى الجهات المختصة كمصالح الدفاع المدني باعتبارها جهة فنية، مما يكيد الدول جهداً بشرياً واستهلاك معدات كان يمكن الاستغناء عنها في حالة التنسيق مع الإدارات الفنية .

-تنازع الاختصاصات ومحاولة إظهار دور كل جهة لأجهزتها وقت إدارة الكارثة دون الالتفات إلى أهمية معالجة المشكلة بموضوعية، الأمر الذي يترتب عليه تضارب الخطط وأساليب المكافحة والإنقاذ والخروج للشكليات وإثبات الوجود السطحي وليس الفعلي. .

4- عدم الالتزام بشروط الوقاية في ممارسة ومزاولة بعض الأنشطة بل من الممكن تأسيس المنشأة دون تنفيذ لاشتراطات من الأصل مع امتناع بعض المستثمرين عن شراء معدات الأمان باعتبارها مصروفات مفقودة نظراً لارتفاع أسعار تلك المعدات

5- عدم مراعاة شروط التخزين خاصة في المصانع والمنشآت الكبرى نظراً لعدم استمرارية المختصين من الدفاع المدني بالتفتيش المستمر عليها.(8)احمد هادي، نفس المرجع،ص30.

إن تيارا رئيسيا بين العاملين في هذا المجال في الدول العربية يشير إلى أن المشكلة عامة، وأنها لا تقتصر على الدول العربية، فالتحقيقات التالية لأحداث 11 سبتمبر داخل الولايات المتحدة أثبتت أن هناك جوانب قصور كبرى في أساليب عمل مؤسسات دولة كبرى تتمتع بإمكانيات هائلة، وأن مأساة موجات المد الأخيرة في المحيط الهادي توضح أن غضب الطبيعة قد يأتي بأعنف من قدرة البشر على التعامل معه، حتى بالنسبة لدول آسيا، لكن هذا التيار ذاته يؤكد أن قدرة الدول العربية على استيعاب التداعيات السلبية لمثل هذه الكوارث تظل أقل من الجميع.

لكن عندما تقع الكارثة فعليا، يتم أحيانا اكتشاف وجود كارثة أخرى تتعلق بعدم القدرة على التعامل معها

لقد تعرّضت العديد من الدول العربية خلال السنوات الأخيرة لعدد من الكوارث الكبرى، التي دفعت الحكومات إلى الاهتمام بتلك المشكلة، ليس فقط بفعل الخسائر المادية والبشرية والمآسي الإنسانية التي تنتُج عنها.(9)ابراهيم عبدالله الشهاوي، نفس المرجع،:ص19

النظريات المفسرة للازمات والكوارث:

إن نسق مجابهة الكوارث واضح تماما من الناحية النظرية، وهناك إلمام كبير به، وبتطبيقاته

أولا –نظرية المسؤولية: ولدت هده النظرية نتيجة للمعاناة التي سببتها نظريات سابقة ’بالإضافة إلى سبب تأثير الحرب العالمية الثانية. ومن أهم المبادئ التي تقوم عليها هده النظرية :

1-إعطاء الحقيقة إلى الفرد ولا يحق التستر عليها ولا يجوز تزويد الفرد بمعلومات كاذبة أو ناقصة.

2-ممارسة النقد البناء والقبول بأي فكرة أو طرح جديد من قبل الفرد وتقبل مناقشة دلك الفرد لتصحيح الخطأ إن وجد بأسلوب بناء هادف وهادئ.

3-نشر أهداف المجتمع وخططه التربوية والتعليمية والاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية.

4-إتاحة الفرصة للفرد للحصول على المعلومات التي يستفيد منها أو يريد أن يتعلمها أو يضيفها إلى حصيلة مستواه الثقافي والسياسي من خلال فكر الدولة أو فكره الشخصي.

5-خدمة النظام من خلال إبراز الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، وتقديم الترفيه والتسلية للفرد من خلال دلك القسط من الحرية الممنوحة من الدولة بما يحقق راحة الجميع.(11) مُحَمَّد جلال الدين عبد الخالق-نظريات علمية واتجاهات معاصرة في طريقة العمل مع الحالات الفردية-دار المعرفة-الاسكندرية-2004-ص205

ثانيا: نظرية التواصل:والتي دعا إليها يورغان هابر ماس من خلال تأسيس أخلاقيات كبرى والتي يشترك في وضعها جميع الأمم على اختلاف ثقافتها وعاداتها عن طريق التواصل المشترك بالاعتماد على المقتضيات التداولية وحاجة الأمم .

ثالثا: نظرية الضعف :وضع أصول هده النظرية جاك أيلول وجان يكو، أما الأول فيرى أن التقنيات ناتجة عن تصرفات تعمل عن طريق الوسائل إلى إظهار مزيد من القوة فوق القوة بحيث تجلب معها مزيدا من الضرر بعد الضرر لدلك يجب أن ندعو إلى الزهد وألا نشارك في انجاز أية تقنية إلا بعد التأكد من أثارها البعيدة والقريبة ،وان ندع العمل بالقواعد التقنية التي تجلب للإنسان الهلاك. أما الثاني: فقد بين الأضرار التي تجلبها التقنية بدلا من النفع عن طريق الانقلاب، فما أن تبلغ الإنسان ذروتها حتى تنقلب إلى ضدها ونقيضها.

رابعا: النظرية الاقتصادية: حيث أن الحكومات الممولة للحروب تنتج ابتكارات مثل وسائل الاتصال للمسافات الطويلة في حال دمار نووي وأيضا خلقت البرامج الممولة للحرب الهاتف الخلوي كوسيلة تمكن الجنود من التواصل بسهولة داخل دباباتهم ولمسافات طويلة .بالإضافة إلى انه بسبب انخفاض عدد السكان قد تحصل على زيادة في المعروض من المواد الغذائية وزيادة المعروض من المواد الخام .وانخفاض منافسة الشركات المتعددة الجنسيات وسيطرتهم على الموارد الطبيعية .وضعف البلدان يخلق فرصة لدخول الشركات المتعددة الجنسيات وتطوير أسواقها عندما تصبح البلاد غير قادرة ماليا أو بسبب نقص الموارد البشرية على تطوير البلاد بشكل ذاتي. وترى بعض الأفكار ان الحروب ربما تؤدي إلى إنشاء زيادة في النشاط الاقتصادي .

خامسا: النظرية السلوكية: يرى بعض علماء النفس مثل جون باولي أن الكائنات البشرية عنيفة بطبعها وهده الطبيعة يغذيها العزل والإسقاط حيث تنتقل شكوى الشخص إلى الكراهية والتحيز ضد الأعراق الأخرى والديانات والقوميات والأيديولوجيات ومن خلال دلك تستطيع الدولة الحفاظ على النظام في المجتمع وخلق متنفسا للعدوان من خلال الحرب .(12)حكمت طرابلسي، نفس المرجع،ص9.

الأزمات والكوارث: نماذج

من الناحية النظرية، نسق مجابهة الكوارث واضح تماما ، وهناك إلمام كبير به، وبتطبيقاته على الواقع لكن الصورة العامة لتلك المسألة، تبدو معقّدة قليلا. فهناك مؤشرات حقيقة، كما سبقت الإشارة، حول وجود اهتمام واسع النطاق بدرجة مبالغ فيها أحيانا بمشكلة إدارة الأزمات، إذ يوجد حجم هائل من الكتابات المتخصصة حولها، وعدد كبير من الخبراء العاملين في المجال، وتقارير شبه دورية تصدُر من مؤسسات مختلفة، رسمية ومستقلة، بل ومراكز دراسات متخصصة في كثير من الدول، ودورات تدريبية مُتواصلة في كل الوزارات تقريبا، بدءا بأكاديميات الدفاع والأمن، وحتى وزارات الكهرباء والري والتموين، مع وجود مراكز لإدارة الأزمات داخل بعضها.

لكن، عندما تقع الكوارث فعليا، يتم اكتشاف وجود تلك المشكلة المزمنة المتعلقة بعدم القدرة على التعامل مع الأزمة، فالنظرية شيء والتنفيذ شيء آخر، سواء كان ذلك في مواجهة الكوارث الطبيعية أو الكوارث الناتجة عن أخطاء بشرية، وترصد التحليلات التي تتناول تلك المشكلة في المنطقة عشرات الأسباب "الفنية" التي لا جدوى حقيقة من رصدها. فهي أشبه بالمتاهة، لكن أي إطلاع عام على أي

تحقيق جرى بشأن كارثة فعلية، **يوضح ما يلي:**

1 –أن معظم البلدان العربية قد صاغت، أيا كان التعبير المستخدم، أفكارا بشأن ما يُسمى استراتيجية قومية للتعامل مع الأزمات، لكنها عموما غير مُترجمة إلى هياكل عملية مركزية. لذا، فإنه عندما تقع الكارثة، يسُود الارتباك. فلا يوجد من أُنيطت به من قبل مسؤولية إدارتها خارج أجهزة الدولة المعتادة، وعادة ما تتحرّك القوات المسلحة للتعامل مع المشكلة إلى أن تتّضح الأمور

2– أن فكرة التنبّؤ بالأزمات عبر إنذار مبكّر، يُتيح الاستعداد لها من خلال تحديد سيناريوهات مُعيّنة، واعتمادات مالية وجهات جاهزة للتحرك لا وجود لها. فعلى الرغم من وجود خرائط تفصيلية أحيانا لطبيعة المخاطر التي تواجه المناطق المختلفة في الدول، كغرق السّفن في المناطق الساحلية، أو انهيار الجسور في المناطق الزراعية، أو السيول في المناطق الصحراوية، فإن الكوارث تبدو دائما وكأنها تفاجئ الجميع

3– تظهر مشكلات واسعة النطاق عند التعامل مع الكوارث التي تقع بالفعل، والتي يكون الهدف الواضح بشأنها هو تقليص الخسائر، وأعمال الإنقاذ، واحتواء الموقف، واستعادة الأوضاع الطبيعية، كعدم التنسيق بين الجهات التي يُفترض أن تواجهها، في ظل التعددية الواسعة لها، والتنافس الشديد والحساسيات وإزاحة المسؤوليات فيما بينها أحيانا، مع قصور في كفاءة الإغاثة، من حيث سرعة ردّ الفعل والفعالية في العمل(13)ابراهيم عبد الله الشهاوي–مرجع سابق–ص74.

مصر، على سبيل المثال، تُعتبر من أكثر الدول العربية تطورا في هذا المجال. فهناك اهتمام واسع بإدارة الكوارث، وهناك قاعدة بيانات شديدة التّحديد بشأن الكوارث المتوقّعة في كل من أقاليمها، وهناك أجهزة دفاع مدني، وإدارة طوارئ. منذ سنوات التسعينات وصولا إلى هجوم الجراد خلال العام (2004)، شهدت وقائع شهيرة كانت لها دلالات هامة، مثل غرق العبارة سالم اكسبريس, وكسر مصرف النوبارية، وزلزال أكتوبر 1992، وانقطاع التيار الكهربائي عن العاصمة، وانهيار جزء من جبل المقطم، وحريق خط بترول مسطرد، وحريق قطار الصعيد، وجنوح بعض السفن في قناة السويس، وانهيار عمارة مدينة نصر وقد أثبتت تلك الحالات أن كثيرا من الكوارث التي ترتبط بأخطاء بشرية، كان من الممكن توقّعها وتجنبها، وأنه كانت هناك دلائل كافية بشأنها قبل وقوعها، لكنها وقعت نتيجة الإهمال، وأنه بينما تطوّرت أساليب التعامل مع الكوارث المحدّدة، كانهيار العمارات أو جنوح السفن، لا تزال هناك مشكلة، عندما يتعلّق الأمر بكارثة كبيرة، خاصة ما يتعلق بالكوارث الطبيعية، كالزلازل والسيول.

وقد أكّدت كل الكوارث تقريبا أن هناك مشكلة مستعصية تتعلّق بأجهزة إدارة الكوارث. لكن في الوقت نفسه، أثبتت تلك الخِبرة وجود عوامل إضافية. فالمواطنين العاديين يتحرّكون بشكل سريع يكاد يكون بُطولي أو "انتحاري" أحيانا، عندما تقع الكوارث، كما أن بعض التنظيمات غير الحكومية التابعة لبعض النقابات أو الجماعات السياسية، تتحرك أحيانا أسرع من بعض أجهزة الدولة، فيما عدا الجيش الذي يكاد يكون الجهة الأولى التي تصل إلى "مكان الحادث" قبل أية جهة مختصة.

يمكن إدراك ما الذي يُمكن أن يحدُث إذا تعرضت دولة عربية أخرى لكارثة كبيرة، على غرار ما حدث في جنوب وجنوب شرق آسيا. فعلى الأرجُح ستكون هناك مشكلة كبيرة، خاصة وأن بنية الدول تتّسم بالهشاشة نوعا ما في كثير من تلك الدول التي لا توجد في معظمها سوى مدينة واحدة ذات أهمية، هي العاصمة.(14)عبير فرحات علي–مرجع سابق–ص65.

أن المشكلة عامة، وهي لا تقتصر على الدول العربية. فالتحقيقات التالية لأحداث 11 سبتمبر داخل الولايات المتحدة أثبتَت أن هناك جوانب قُصور كُبرى في أساليب عمل مؤسسات دولة تتمتع بإمكانيات هائلة، وأن مأساة موجات المد الأخيرة في المحيط الهادي، توضّح أن غضب الطبيعة قد يأتي بأعنف من قدرة البشر على التعامل معه، حتى بالنسبة لدول كنمور آسيا، لكن هذا التيار ذاته يؤكّد أن قدرة الدول العربية على استيعاب التداعيات السلبية لمثل هذه الكوارث الكبيرة، أقل من الجميع، باستثناء إفريقيا جنوب الصحراء. بالإضافة إلى أزمات تصنعها الدول ولأهداف سياسية معينة مثل:

–أزمة المساعدات المالية:

كانت الولايات المتحدة تمنح السلطة الفلسطينية حوالي 200 مليون دولار سنوياً لدعم ميزانيتها، وحوالي 350 مليون دولار لدعم المشاريع الإنسانية والإنمائية. ويتم تقديم هذه الأموال أساساً من خلال وزارة الخارجية الأميركية والوكالة الأميركية للتنمية الدولية والمنظمات غير الحكومية، وليس عن طريق السلطة الفلسطينية،

ووفقاً للجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، يعيش واحد من كل أربعة فلسطينيين تحت "خط الفقر" (المحدد في 609 دولار شهرياً لأسرة مؤلفة من شخصين بالغين وثلاثة أطفال)، بما في ذلك 18 في المائة من الفلسطينيين الذين يعيشون في الضفة الغربية و38 في المائة من المقيمين في قطاع غزة. كما وجد الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني أيضاً أن 14 في المائة من الفلسطينيين يعيشون في "فقر مدقع" (المحدد في 478 دولاراً في الشهر لأسرة مؤلفة من شخصين بالغين وثلاثة أطفال)، من بينهم 8 في المائة في الضفة الغربية و 23 في المائة في قطاع غزة. ويشكل هؤلاء الفئة السكانية الأكثر عرضة للتأثر بالأزمات المالية والاقتصادية. وتساهم المساعدات المقدمة في تخفيف محنة الكثير من الأسر الأكثر فقرا. .

وفيما يتعلق بالدعم المالي المباشر للتكاليف المتكررة الخاصة بالسلطة الفلسطينية، قدم الاتحاد الأوروبي 213 مليون دولار خلال الفترة من يناير إلى سبتمبر 2011، بما في ذلك 174 مليون دولار لدفع الرواتب ومعاشات التقاعد و 39 مليون دولار للدعم الاجتماعي. كما قدم الاتحاد الأوروبي في عام 2010 حوالي 345 مليون دولار للفلسطينيين

وحسب السلطة الفلسطينية، تتلقى حوالي 87,000 عائلة فلسطينية، من بينها 47,000 في الضفة الغربية و 40,000 في قطاع غزة، مساعدات اجتماعية خلال عام 2011 من "البرنامج الوطني للتحويلات النقدية" الذي يديره الاتحاد الأوروبي والبنك الدولي ووزارة الشؤون الاجتماعية الفلسطينية في الضفة الغربية، وهو ما يمثل زيادة عن السنوات السابقة

كما تتلقى نحو 55,000 أسرة مساعدات من الاتحاد الأوروبي، وتتلقى 5,000 أسرة مساعدات من البنك الدولي، بينما تتكفل السلطة الفلسطينية بمساعدة 27,000 أسرة (وقد شهدت هذه المجموعة زيادة في العام الماضي.

وأدت الأزمات المتتالية إلى تقسيم وتأجيل دفع الرواتب والأجور للعاملين في السلطة مما ولدت أزمات جديدة متعددة اجتماعية وصحية .

–أزمات الغذاء:

تستهلك معظم دول العالم الخبز الذي ارتفعت تكاليف إنتاجه جراء الصدمات المناخية، مما أدى إلى تدهور الأمن الغذائي بالنسبة إلى الملايين حول العالم. غير أن خرقا علميا مهما سيمكننا من ان نشهد في وقت قريب استنباط أصناف جديدة من القمح المقاوم للأمراض وللظواهر المناخية .

وأيضا هناك فرص كبيرة بان يكون الوباء القادم في العالم مرضا حيواني المنشأ مثل 60% من الأمراض المعدية الموجودة حاليا والتي تصيب الإنسان .ويقول الخبراء انه بعد العدد الكبير من الوفيات البشرية بسبب الأمراض التي تنتقل من الحيوان إلى الإنسان ،لاتزال المعلومات محدودة عن كيفية انتشار الأمراض آو كيفية التنبؤ القادم لتلك الأمراض .

حرمت عقود من الحرب وانعدام التنمية غالبية سكان جنوب السودان من الحصول على أي شكل من أشكال الرعاية الصحية، مما أدى إلى تسجيل البلاد بعض أسوأ المؤشرات الصحية في العالم. ففي بلد لا يتيح سوى لواحد فقط من كل أربعة مواطنين فرصة الوصول إلى

المرافق الطبية، يمكن تصنيف جميع السكان تقريباً على أنهم من الذين "يصعب الوصول إليهم.(15)علي البنا، المشكلات البيئية وصيانة الموارد الطبيعية، دار الفكر العربي،القاهرة،2000،ص67.

لكن، تظل ثمّة قضية مُثيرة في المنطقة العربية تتم الإشارة إليها، كحالة خاصة بالإقليم، هي الكوارث السياسية. فالدول العربية لا تتعرّض عادة لتلك الزلازل القوية التي تشهدها دول شرق آسيا أو حتى المناطق المجاورة في إيران وتركيا، ولا تتعرض كذلك للأعاصير العاتية التي تشهدها منطقة الكاريبي والولايات المتحدة، أو موجات الجفاف الحادة التي تحدث في الدول الإفريقية، أو حالة الصقيع في الشمال لكنها تتعرّض لنوعية من الكوارث السياسية ذات الإفرازات المعقّدة التي ترتبط بالحروب بين الدول والنزاعات داخل الدول، ربّما بأكثر ممّا هو قائم في أية منطقة في العالم حاليا، على غرار ما يحدُث حاليا في العراق والصومال والسودان وفلسطين، والتفجيرات الإرهابية في دول مختلفة، ويؤدّي ذلك إلى كوارث أقوى مما حدث من جراء فيضان تسونا مي في آسيا، وهو منطق خاص نسبيا، لكنه يشير إلى زحف التسييس نحو كل المجالات داخل المنطقة العربية.(16)مؤتمر القيادة في اوقات الكوارث،القاهرة،فيفري،2013.

-التداعيات النفسية والاجتماعية الناتجة عن الكارثة:

يوجد ما يقارب 220 كارثة طبيعية و70 كارثة تكنولوجية وثلاث صراعات مسلحة تحدث سنويا في العالم. وهناك ما يقارب 35مليون إنسان في مختلف أنحاء العالم يهربون من الحروب وتتأثر حياتهم بشكل كبير جراء العواقب النفسية من الصدمات والضغوط.

في الحروب الحالية أكثر من 80% من الضحايا هم من المدنيين. وتشير المعلومات إلى أن أكثر من 1%من سكان الأرض يهربون من الحرب والعنف السياسي كل عام ويقتلعون من أرضهم. وبذلك ينتج ما يلي:

-سواء كانت الكارثة جراء الحرب أو كانت طبيعية فإنها تنتج الكثير من المشكلات الاجتماعية نراها في النزوح إلى مناطق أخرى ،وانفصال العائلات عن بعضها ،فقدان مصدر الدخل، تدمير شبكات الدعم الاجتماعي وحرمان بعض الشرائح منها :(ارامل، ايتام، كبار السن، المعاقين،).بالإضافة إلى مشكلات نفسية قد تستمر وتسوء مثل: الإدمان على المخدرات والاضطرابات العقلية، والمشكلات الأسرية.(17) عبير فرحات علي، نفس المصدر،ص17.

وقد تؤثر متابعة الطفل لما يحدث أثناء الحروب والكوارث على سلامته النفسية، وترجع خصوصية الأطفال في تلك الظروف إلى:

1- ضعف إدراك الطفل لما يحدث، إذ إن مفاهيمه لم تتضمن بعد التضحية بالروح من أجل الوطن أو الدين، وهذا لا يظهر إلاّ بعد التاسعة من العمر.

2- عدم امتلاك الطفل القدرة على التعبير عن خوفه وقلقه والرعب الذي يتملّكه سوى بالبكاء.

ويؤكّد المختصون في علم النفس أن أخطر آثار الحروب هو ما يظهر لاحقاً من مشاكل وعقد نفسية لدى أجيال كاملة من الأطفال يتوقف مدى خطورتها على مدى استيعاب الأهل وكيفية مساعدة الطفل على تجاوز المشاهد التي مرّت به.

تُعتبر الصدمات التي يتعرض لها الطفل بفعل الإنسان أقسى مما قد يتعرض له من جرّاء الكوارث الطبيعية، وأكثر رسوخاً بالذاكرة، ويزداد الأمر صعوبة إذا تكررت هذه الصدمات لتتراكم في فترات متقاربة. وتُعيق الكشف عن هذه الحالات لدى الأطفال صعوبة تعبيرهم عن شعورهم أو الحالة النفسية التي يمرون بها بينما يختزلها العقل، ما يؤدي إلى مشاكل نفسية عميقة، خاصة إذا لم يتمكّن الأهل أو البيئة المحيطة بهم من احتواء هذه الحالات ومساعدة الطفل على تجاوزها.

من هنا نجد أن تلك الحروب والنزاعات تخلّف لدى الأطفال آثاراً آنية وقريبة المدى مثل:

سوء التغذية، الأمراض المتعددة، التشرد، اليتم، الإرغام على ارتكاب أعمال العنف أو الاعتداءات الجنسية، الاضطراب في التربية والتعليم.

وقد يُصاحب هذه الحالات نوع من الفوبيا المزمنة من الأحداث أو الأشخاص أو الأشياء التي تَرافق وجودها مع وقوع الحدث مثل الجنود، صفارات الإنذار، الأصوات المرتفعة، الطائرات. وفي بعض الأحيان يعبّر الطفل عن خوفه بالبكاء أو العنف أو الغضب والصراخ أو الانزواء في حالة من الاكتئاب الشديد، إلى جانب الأعراض المرضية مثل الصداع، المغص، صعوبة في التنفس، التقيؤ، التبول اللاإرادي، انعدام الشهية للطعام، قلة النوم، الكوابيس، آلام وهمية في حال مشاهدته لأشخاص يتألمون أو يتعرضون للتعذيب، وفي حال مشاهدة الطفل لحالات وفاة مروّعة لأشخاص مقربين منه أو جثث مشوّهة، أو حالة عجز لدى مصادر القوة بالنسبة له مثل الأب والأم، إذ يُصاب بعدئذ بصدمة عصبية قد تؤثر على قدراته العقلية.

أما الآثار البعيدة المدى فغالباً ما تكون على صورة مشاعر يختزنها الطفل في لاوعيه تظهر أثناء اللعب أو الرسم، فنلاحظ أنه يرسم مشاهد من الحرب كأشخاص يتقاتلون أو يتعرضون للموت والإصابات، وأدوات عنيفة أو طائرات مقاتلة وقنابل ومنازل تحترق، أو مخيمات. ويميل بعض الأطفال إلى اللعب بالمسدسات واقتناء السيارات والطائرات الحربية، إضافة إلى مشاعر الطفل المفعمة بالعنف والكراهية والشك، أو اليأس والقلق المستمر

1- نوبات من الخوف والفزع.

2- اختلاط المفاهيم بين الصح والخطأ، الحرب والسلام، الجار والعدو.

3- فقدان السلام النفسي والتعرّض لصراعات نفسية داخلية وما ينشأ عنها من فقدان الثقة بالنفس.

4- الالتصاق الدائم بالوالدين، أو المسؤولون عن رعايته.

5- الانزواء وعدم الرغبة في التواصل.

6- السلوك العدواني تجاه الأشخاص أو الأشياء أو حتى تجاه الذات.

7- ضعف التركيز وتشتت الانتباه، بسبب الشرود في ما حدث ومحاولة فهمه.

8- اضطراب علاقته بالسلطة وممثليها من الأسرة والمعلمين، ويظهر هذا الاضطراب إما في الانصياع الزائد خوفاً من العقاب وفقدان التواصل معهم الذي يؤمنه في الفترة الحالية، أو الرفض التّام تعبيراً عما يُعانيه داخلياً.

9- تغيّر بعض القيم الاجتماعية عند الأطفال مثل قيمة الصدق والأمانة، والثقة بالنفس، وقيمة المبادئ والتعاون، وقيمة الإيثار والتضحية في سبيل الآخرين.

إن ما يزيد الوضع مأسوية في مجتمعاتنا في مثل هذه الظروف أنها مازالت مجتمعات لا تُعنى كثيراً وجدّياً لا بالحالة النفسية للمتضررين من الحرب، ولا حتى بالرعاية النفسية لهم، إن كان أثناء اندلاع الحرب أو بعد انتهائها، لاسيما للأطفال باعتبارهم الأكثر تضرراً لا على مستوى الحكومات، ولا على مستوى الأهل، وهذا بالتالي يؤدي لوجود أجيال متلاحقة تحمل العديد من العُقد النفسية التي تتفشى لدى أفراد المجتمع، إذ يعيش شروخاً متعددة تبعاً لمدى تأثير تلك الأزمات على أفراده من جهة، ومن جهة أخرى يُصبح مجتمعاً متخلفاً على المستوى الاجتماعي والعلمي من خلال قصور أفراده المتقوقعين داخل شرانق تلك العُقد، وبالتالي التخلّف في التعاطي مع مستويات التطور والارتقاء.(18)جلال السناد، نفس المرجع،ص14.

متطلبات الوقاية من الأزمة والكارثة:

-متطلبات تنظيمية :

للتعرف على فاعلية الخدمة يجب وضع سياسة مخططة لمتابعة الحالات لكي تتمكن الجهة المعنية من تطوير الخدمة بما يناسب الاحتياجات، وان يكون لدى الأخصائي المتعامل مع الحالة سلطة كافية لاتخاذ القرار. بالإضافة إلى تسخير إمكانات بيئية مثل المستشفى والمدرسة آو الأندية. ومبادرة سرعة الانتقال الى موقع الأزمة، خاصة في الانهيارات والسيول والحرائق. بالإضافة إلى تبسيط الإجراءات الإدارية والأخذ بعين الاعتبار متغير الوقت وطبيعة المشكلة من حيث التأثير في تحقيق الهدف. ومن ثم تزويد الإدارة بالأعداد الكافية من المختصين والمتدربين بالإضافة إلى المتطوعين من المجتمع المدني.(19) علي الدين السيد مُحَمَّد-خدمة الفردبين النظريات المعاصرة-مكتبة عين شمس-القاهرة-1995-ط3

-متطلبات مهنية:

يحتاج العمل في موقف الأزمة إلى التدخل السريع والاستعانة بفريق من المتخصصين في العديد من المجالات مثل الطب النفسي والخدمة الاجتماعية والصحة العامة والطب المتخصص للطوارئ، من اجل التخلص الفوري للأعراض المصاحبة للازمة وتفهم الجوانب الأكثر ارتباط بحدوث الكارثة. واستحداث نماذج فورية لزيادة قدرة العمل والإدراك والتقدير اللازم. والتركيز الفوري على الممكن والاهم من خلال طبيعة الأزمة والاحتياجات. وتأخذ الوقاية من الازمات والكوارث الكثير من العمل مثل:

-يكون التدخل أكثر نجاحا إذا بدا مع بداية الأزمة.
-منع المشكلة من الحدوث والتقليل من حجمها قبل أن تستفحل ، أي ما يسمى بالوقاية منها .
- حل المشكلة من جذورها ومحو أثارها السابقة واللاحقة وكأنها لم تكن .
-محاولة العلاج من المشكلة الواقعة عبر التقليل من آثارها وأعراضها إذا لم يكن بالاستطاعة إزالتها.
ومن أجل الاستعداد لمواجهة الكوارث الطبيعية (زلازل، سيول، أعاصير) تعتمد خطة إدارة الدفاع المدني والحرائق للتعامل مع هذه الكوارث على ما يلي:
أولاً: الإعداد المسبق للإمكانيات المتاحة من تحديد أماكن تواجدها وكيفية تجميعها واستخدامها الأمثل بوسائل إدارة مواجهة وكوادر مدربة..
ثانياً: تحديد الآثار الناتجة عن الكوارث الطبيعية المحتملة والتي سيقوم الدفاع المدني بالتعاون مع الأجهزة المحلية في مجابهتها وهى الانهيارات ووجود أشخاص تحت الأنقاض أو نشوب الحرائق المتنوعة أو عزل أشخاص بأماكن يصعب الوصول إليها أو الخروج منها نتيجة السيول .
ثالثا: كيفية المواجهة الصحيحة والتعامل المباشر مع آثار الكارثة واتخاذ الإجراءات الكفيلة للحد من آثارها ومنع انتشارها إلى مناطق أخرى.
ولتطبيق كل ذلك، توجد توصية دائمة في كل الكتابات تتعلق بما يسمى "جهاز إدارة الكوارث"، الموجود فعلا فى بعض دول العالم، فحيث أن خصائص حالة الكوارث تمثل تهديداً للمصالح القومية، بالإضافة إلى وجود عناصر المفاجأة فى التوقيت وقصر الوقت المتيسر، وكذا المفاجأة في المكان الذي وقعت به الكارثة، ثمة حاجة لإقرار آليات تسمح بمواجهة الكوارث واتخاذ القرارات بصورة سريعة وحاسمة ومركزية لا تعوقها القواعد الروتينية والبيروقراطية وتتخطى حواجز التسلسل الإداري واستقلالية الجهات المختلفة باختصاصاتها، كما تتخطى اللامركزية . .
بالإضافة إلى إنشاء جهاز متخصص لإدارة الكوارث على مستوى الدولة للسيطرة على أنشطة الدفاع المدني، مع تحديد أسلوب العمل في مختلف مراحل الكارثة 1- مرحلة ما قبل وقوع الكارثة2- ومرحلة أثناء وقوع الكارثة3- ومرحلة ما بعد وقوع الكارثة، ووضع آلية عمل

تكفل تحول هذا الجهاز فوراً في مرحلة وقوع الكارثة أو في حالة توقع وقوعها إلى جهاز ذي موقع قيادي بالنسبة لمختلف أجهزة الدولة، بحيث تكون له سلطات واختصاصات تجاوز التقسيمات الإدارية.(20) مؤتمر القيادة في اوقات الكوارث والازمات، نفس المرجع،ص4.

أهمية دور الإعلام:

إن أهمية توافر المعلومات خلال الأزمات لتفادي الارتجال واللجوء إلى المصادر الخطأ، حيث تلعب وسائل الإعلام دوراً إيجابياً إما من خلال التفاعل مع الأزمة والحد من تبعاتها واحتواءها، أو دوراً سلبياً من خلال التضليل وتغييب الرأي العام، وتم تحديد مجموعة من مواطن القصور في تعامل وسائل الإعلام مع الأزمات بالرغم من توافر الإمكانيات والتكنولوجيات، ومدى إدراك هذه الوسيلة الإعلامية لأهمية التعامل مع الأزمة ودورها في ظل سباق الجمهور العادي اليوم في إنتاج الخبر، وظل محدودية المصادر واعتماد بعض الوسائل على المصادر الأجنبية.(10)جلال السناد: نفس المرجع، ص49.

وعلينا الحديث عن الواقع الحالي والذي يشهد العديد من المتغيرات مع تقدم البشرية، ونشوء الأزمات والكوارث، وتحديد مجموعة الأزمات والكوارث التي مرت بها المجتمعات مع اختلاف طبيعتها، كالأزمة الاقتصادية والزلازل والأعاصير، والاحتباس الحراري.

الإعلام ذو حدين وله دور كبير في نشر هذه الثقافة وتهيئة الناس بأسلوب فعال في حال حدوثها بحيث تكون طريقة الطرح سهلة ومرنة وليست من خلال الترويع والتخويف و العمل من خلال إتباع إرشادات محددة.

كما يجب ألا ينساق الفرد خلف الشائعات التي تردد حدوث زلازل جديدة، فالتصدي للشائعات يعد من قبيل التدريب على ثقافة التصدي للكوارث.

بالإضافة إلى ضرورة العمل على نشر هذه الثقافة من خلال التوعية بالمدارس بدءا من الأطفال الصغار وحتى الجامعة وان يكون المربي قدوة للآخرين.

وعلى أهمية اعتبار الإعلام شريكاً رئيسياً تربط مؤسسات إدارة الكوارث بالجمهور، وضرورة معرفة الإعلام بدور هذه المؤسسات الوطنية لتحقيق فهم مشترك لمبدأي "المنع والاستعداد"، دون انتظار وقوع الأزمة، والسعي لمنع حدوث الكوارث، أو محاصرة الكوارث التي ترتقي إلى أزمات، و المساهمة في منع وقوع الأزمات والتخفيف من آثارها من خلال التدبير والاستعداد من **خلال ما يلي:**

1- اتخاذ الإجراءات الوقائية لتخفيف حدوث الأزمة
2- التخطيط المسبق لمواجهة الأزمة وكيفية التعامل معها
3- إعداد خطط ورسم سيناريوهات للتعامل مع الأزمات
4- نشر الوعي الثقافي لإدارة الأزمات والكوارث وكيفية تنفيذ أعمال المواجهة والإغاثة الاستعداد للتعامل مع الأحداث بتدريب أعضاء هيئة التدريس ومعاونيهم والعاملين بوضع محاكي للأزمة
5- العمل على تحديث أجهزة الإنذار المبكر والرصد
6. العمل على نشر التوعية بأمور السلامة والأمن من خلال الندوات والمحاضرات التثقيفية.
7. إعداد الدراسات التثقيفية المتعلقة بتنفيذ وتطبيق المواصفات الواردة بلوائح الدفاع والحماية المدنية لمختلف الأنشطة والمنشآت بالكلية.
8- رفع كفاءة المتخصصون وحثهم على حضور دورات تدريبية متخصصة.

9. دراسة وتحليل الأزمات والكوارث من خلال حدوثها في أماكن أخرى مع وضع تصور لكيفية علاج أوجه القصور التي حدثت .
10- إتاحة المعلومات والبيانات في إطار كامل من الشفافية.
11. إعداد البرامج الوقائية والعلاجية.
12. نشر الوعي الصحي ،خاصة في مجال الطب الوقائي في حال حدوث أوبئة مثل (أنفلونزا الطيور الخنازير).
13. التأكد من وجود الإمكانيات المطلوبة للإسعافات الأولية في حال حدوث كارثة .
14-التنسيق مع الجهات المختصة وخاصة المستشفيات لوضع آلية لكيفية التعامل أثناء الأزمة.(21)احمد هادي، نفس المرجع،ص18.

نظرا لحاجة الإطار المؤسسي لإدارة الأزمات والكوارث والحدّ من أخطارها على كافة السلطات العمل
على ضرورة تعزيز ثقافة التعامل الآمن مع الكوارث والحالات الطارئة ، ووضع آليات واضحة لاستراتيجية تعامل كل المؤسسات مع الكوارث للحد من الخسائر بالأرواح والممتلكات.

وان نشر الوعي بكيفية التعامل مع الكوارث الطبيعية يجب أن يأخذ حيزا كبيرا من اهتمام الجهات المعنية فضلا عن جعل تلك الثقافة جزءا من المناهج التعليمية ،.

وان نلجأ إلى تمارين الإخلاء الوهمي التي تنفذها إدارة الدفاع المدني في العديد من الهيئات والمؤسسات الحكومية والخاصة ووضع تدريبات مماثلة على كيفية مواجهة الحرائق والتصرف خلال الهزات الأرضية والفيضانات والانهيارات. والقيام بتوفير المساعدات الطبية والاغاثية للسكان، مما يؤهل المعنيين لوضع استراتيجية هامة لتعزيز ثقافة التعامل السليم والأمن مع الكارثة أو الأزمة، والتي تشمل تدريب كوادر بشرية وتشكيل لجان للمتابعة وتنفيذ الخطط للإنقاذ والإخلاء، وتوفير مستشفيات ميدانية وإيواء .
يتسبب الخوف والهلع خلال الكوارث والحوادث في تشويش أفكار الناس بشكل كبير، فالاتزان والانسجام هما اللذان ينتج عنهما أفضل قرار يتخذه الفرد بشكل عام في أموره العادية وبالتالي فإذا استطاع الإنسان أن يحقق هذا الأمر في فترات الكوارث والأحداث المفاجئة فإنه سينجو بنفسه وسيكون قادرًا على مساعدة الآخرين أيضًا، فالصبر يكون عند الصدمة دائمًا والعمل الهادئ هو الذي ينجي الإنسان.
ويجب أن تتبنى كل مؤسسات الدولة تنظيم دورات تدريبية باستمرار في هذا الإطار حتى يمكن أن نتعامل مع ظروف الحياة بكثير من الإدراك والوعي ويجب أن يلعب الإعلام دوره في هذا الإطار ولا نتكلم عن الزلازل فقط بل في جميع الأحداث المفاجئة والكوارث الطبيعية بشكل عام، فكثير من الناس تذهب حياتهم هباء بسبب جهل التعامل معهم فيما يتعلق مثلاً بالإسعافات الأولية البسيطة في حوادث السيارات على سبيل المثال .و للمدرسة دور كبير في غرس هذه الثقافة بين أفراد المجتمع ويجب أن تكون هناك مناهج ودروس خاصة بهذا الأمر في المدارس لتعليمها للأطفال باستمرار وتكون بشكل تكاملي مع المؤسسات الشبابية والحكومية والخاصة، بحيث يتكامل الجميع في سبيل تقديم أفراد مثقفين في شأن التعامل مع الكوارث بشكل كبير بما يفيدهم شخصيًا ويفيد المجتمع بشكل عام. وأصبحنا الآن في حاجة إلى الوعي فيما يتعلق بهذا الأمر ليس على المستوى الحكومي فقط بل على مستوى الأفراد أيضا حيث إن ثقافة التعامل مع الأزمات والكوارث تقلل كثيرا من أعداد الضحايا والخسائر نتيجة التعامل الأمثل مع مثل هذه الظروف وهذه الثقافة تشمل الجميع بما فيهم الطفل الصغير الذي يجب أن نعلمه على الأقل كيف يتصل ويستخدم وسيلة الاتصال في حال الطوارئ . أننا في حاجة مستمرة إلى التدريب العملي على كيفية التعامل مع حالات الطوارئ بصفة عامة .ونشير إلى ضرورة الاهتمام بتدريس ثقافة التعامل مع الكوارث من خلال المناهج الدراسية في المدارس والجامعات والعمل على نشر الوعي أيضا بها في المؤسسات الحكومية والخاصة من خلال دورات تدريبية توعوية

وذلك لأن هذه الثقافة جزء من منظومة تفاعل الإنسان مع المجتمع، كما يجب أن ننشر الوعي بين الناس في كيفية التعامل مع الزلازل من خلال إخلاء المباني بطريقة هادئة دون ذعر أو خوف وكذلك تعليم الأفراد كيفية حماية أنفسهم داخل المباني نفسها من خلال الابتعاد عن النوافذ والالتزام بالزوايا والأماكن التي قد توفر ملجأ آمنا لمن يحتمي بها أو تحت المكاتب أو المناضد القوية، وكذلك عدم استخدام المصاعد والابتعاد عن الكهرباء وفي حالة كان الفرد خارج المبنى فيبتعد عن أية مبان مجاورة وإن كان في السيارة فيوقف سيارته ولا يخرج منها وهكذا وكل ذلك إرشادات إجمالية لكن التفاصيل يجب أن يكون كل فرد على علم ودراية بها.

نتيجة:

يحتاج نشر ثقافة الأزمات والكوارث إلى فترة عمل طويلة حتى يكون الفرد مؤهلا للتعامل معها وخاصة الزلازل، واليابان هي خير نموذج لذلك فلو ذهبنا إلى اليابان مثلا نجد أن هناك ثقافة للتعامل مع مثل هذه الأحداث بحكم أنها تقع باستمرار لديهم وقد اكتسبها الجميع على مدار سنوات بسبب الزلازل المتكررة فقد كان لا بد من زرع هذه الثقافة بين الشعب وهو ما يثمر كثيرا في تفادي حدوث خسائر بشرية هائلة في أوقات الزلازل في حين أننا لو قارنا هذه الزلازل بدول أخرى سنجد أن الحصيلة تتفاقم في تلك الدول عنها باليابان نتيجة انعدام ثقافة التعامل مع الكوارث.

حدث زلزال في هاييتي بقوة 7 ريختر فكان الضحايا 200 ألف في حين حدث زلزال في اليابان بنفس القوة وكانت حصيلة الضحايا 20 شخصا فقط من الموتى وذلك بسبب حسن التعامل مع الأزمة وكيفية التصرف جيدا في أوقات الزلازل، كما حدث زلزال في اندونيسيا بقوة 9 ريختر فكانت الضحايا 150 ألف قتيل وفي اليابان حدث زلزال بنفس الدرجة فكانت الحصيلة 15 ألفا فقط ومن خلال هذه الأرقام نستطيع أن نفهم جيدا كيف يمكن أن يسهم التعامل اللائق مع الأزمات في تقليل الخسائر البشرية.(22) عبير فرحات علي،ن فس المرجع،ص29.

تقوم فلسفة التعامل مع الأزمات على السيطرة والهدوء سواء من جانب الأفراد أو المؤسسات والهيئات الحكومية والخاصة فيجب أن يكون هناك دورات تدريبية من خلال المؤسسات والشركات والمنظمات وأن تكون هذه الدورات مستمرة بلا انقطاع بحيث يتم التعرف باستمرار على أحدث الوسائل والأساليب المتطورة للتعامل مع الكوارث لأن العلم يتقدم كل يوم وكل ذلك سيؤدي بلا شك إلى تقليل أي خسائر من الممكن أن تقع نتيجة للكوارث.

بالإضافة إلى ضرورة الاهتمام بالتوعية المجتمعية من خلال وسائل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة فكل يؤدي دوره في هذا المجال بما يسهم في زيادة الوعي لدى المواطن حول كيفية التعامل الأمثل مع الكوارث وخاصة الزلازل. و المجتمع بجميع شرائحه يجب أن يتضافر من أجل نشر هذه الثقافة الهامة التي تهتم في المقام الأول بحماية حياة البشر، فضلا عن ضرورة تطوير آلات الإنذار المبكر في الكوارث بصفة عامة والزلازل بصفة خاصة. **وتأهيل القيادات التربوية في إدارة الأزمات والكوارث وتدريب فرق ميدانية للتعامل الأمثل مع الأزمات الكوارث حال وقوعها ،وإيجاد عدة محاور من أبرزها إدارة الطوارئ ومواجهة الضغوط عند الأزمات والكوارث وإعداد المناخ التنظيمي لمنع وتفادى حدوث الأزمات والكوارث فضلاً عن تزويدهم بآليات تنظيم العمل وتوزيع المهام والمسئوليات وقيادة فرق العمل و. الاستجابة للكوارث والأزمات ضمن رؤية استراتيجية تستهدف تنظيم العمل التطوعي في التعامل مع الأزمات والكوارث** أدت متابعة المشاهد المأساوية التى نتجت عن كارثة أمواج المد البحري المعروفة باسم "تسونامي" في جنوب شرق آسيا، إلى صدمة داخل كل الدول، إذ وجد الجميع أنفسهم مرة أخرى فى مواجهة سؤال يتكرر إثر وقوع كل كارثة كبرى، يتعلق بمدى استعداد الدول للتعامل مع مثل تلك الكوارث المدمرة، خاصة وأنه قد أتضح أن الكثيرين لم يكونوا بمنأى عنها، رغم وجود آلاف الأميال التى تفصلهم عن مركز

الزلزال، ومنها بالطبع الدول العربية.

فعلى الرغم من أنه في داخل معظم الدول العربية، في كل وقت تقريبا، توجد دورة دراسية تنظم في مكان ما تحت اسم "إدارة الأزمات" التي تعنى في واقع الأمر "إدارة الكوارث"، بحيث لم تعد هناك قيادة إدارية عليا ذات أهمية لا تعرف جيدا كل شئ عن الموضوع، فإنه عندما تقع الكارثة فعليا، يتم أحيانا اكتشاف وجود مشكلة حادة تتعلق بعدم القدرة على التعامل معها عمليا، ولا يزال هذا الوضع مستمرا في كثير من الدول.

قائمة المراجع:

1-إبراهيم عبدا لله الشهاوي, الأزمات والكوارث، دار المعرفة،القاهرة،.2011

2-احمد هادي، إجراءات الاستعداد والوقاية من مخاطر الكوارث الطبيعية، المطبعة الجامعية،جدة،.2012

3-توصيات مؤتمر(القيادة في أوقات الكوارث والأزمات)القاهرة،فيفري،.2013

4-جلال السناد، الخبرات الاجتماعية والوجدانية، مطبعة دمشق،دمشق،.2006

5-علي البنا ،المشكلات البيئية وصيانة الموارد الطبيعية، دار الفكر العربي،القاهرة.2000

6-علي الدين السيد مُحَمَّد-خدمة الفردبين النظريات المعاصرة-مكتبة عين شمس-القاهرة-1995-ط3

7-عيير فرحات علي، اثر فرق العمل متعددة الوظائف على تنمية القدرات الابتكارية، المنظمة العربية للتنمية،القاهرة،.2013

8-مُحَمَّد حكمت طرابلسي، أبحاث في علم النفس السلوكي، مطبعة النور،بيروت،.2010

9-مُحَمَّد جلال الدين الصديقي-نظريات علمية واتجاهات معاصرة في طريقة العمل مع الحالات الفردية-دار المعرفة-الإسكندرية-2004